

من الحوائط الأريية

## يهرب من الحج

للاستاذ محمد سيد كيلاني

لما عزم الخديو عباس على أداء فريضة الحج في شتاء سنة ١٩٠٩ قرر أن يصطحب معه فيمن يصطحبه من خاصته شاعره الكبير أحمد شوقي . ولكن الشاعر كان في سريره لا يرغب في أداء هذه الفريضة المقدسة ولم يستطع أن يصرح للخديو بذلك . فتظاهر بالواقفة وركب القطار مع أفراد الحاشية حتى إذا وصل الركب المال إلى بنها غادر شوقي القطار خفية وانسل من بين الحاضرين دون أن يشعر به أحد؛ وذهب إلى منزل أحد أصدقائه بينها وقضى فيه مدة من الزمن ثم رجع إلى القاهرة . وأخذ الخديو وأفراد حاشيته يتفقدون شوقيا ولكن على غير جدوى . فلما رجم الخديو من الحجاز وسأله عن السر في ذلك أجاب : كل شيء إلا ركوب الجمال يا أفندينا . وهذا عذر ضيف يدل على استهتار بأداء الفرائض الدينية التي من بينها الحج . ولم يكن شوقي أكثر ترفا من بقية الحاشية . فإذا كان الخديو عباس يحمل مشاق السفر فكيف عجز عنها شوقي ؟ بل إذا كانت أم الحسين ومهما وسيفانها تحملت مشاق السفر فكيف عجز عنها شوقي ؟ الحق أن تحليل هربه من أداء فريضة يصبو إليها كل مسلم ومسلمة لا يدل على شيء سوى استهانة بأمر الحج . وشوقي كان إذ ذاك في ريمان شباه تلوح عليه نغمة التميم . وكان يقيم في دار بالطرية الحفلات الساهرة الراقصة حيث الكاس والطاس وغير ذلك مما لا داعي لذكره . ولم يقمعه عن هذه الحفلات ضعف فكيف قمد عن أداء تلك الفريضة ؟ وبأى عذر اعتذر ؟ وما قيمة أعضاده من الصحة ؟ قال للخديو : كل شيء إلا ظهور الجمال يا أفندينا . وهذا ليس بمذموم مقبول لأننا نعلم أن الشاعر كان يركب ظهور الخمر في القاهرة ويقطع بها مسافات طويلا . ثم إن سكة حديد الحجاز كانت قد افتتحت في ذلك الوقت وكان الناس يستقلون قطاراتها إلى المدينة . فلم تكن المسافات التي كان من المقرر أن يقطعها

الشاعر بالجمال سوى تلك التي بين جدة ومكة والمدينة . ثم إن الركب الخديوي كانت به وسائل الراحة التامة . فرى من ذلك أن هذا المذم لا يصح أن يقوم دليلا على عجز الشاعر عن تأدية الفريضة .

وهو يتمنى أن تكون هناك سيارة أو طائرة لتقرب إليه البعيد وتسهل أمامه السيل . قال :

ويارب هل سيارة أو مطارة فيدنو بميد البيد والفلوات  
ولكنه هو القائل قبل ذلك في الطائرة « أركب الليث ولا أركبها » أما السيارات فقد أدرك عصرها . ولكنه لم يستقلها لأداء الفريضة .

والآن بعد أن ناقشنا هذه الأعذار وبيننا أنها متكلفة وأن الشاعر أتى بها ليبرر استهانتته بالحج ، ننتقل إلى أبيات من قصيدته التي مدح بها الخديو عباسا عقب عودته من الحجاز والتي مطلعها إلى عرفات الله يا ابن محمد عليك سلام الله في عرفات أما الأبيات التي تريد أن تقف عندها فهي

ويارب هل تنفى عن العبد حجة وفي العمر ماقيه من الهفوات  
وتشهد ما آذيت نفسا ولم أضر ولم ابغ في جهري ولا خطراني  
ولا غلبتني شقوة أو سعادة على حكمة أتيتني وأناة  
ولا جال إلا الخمر بين سرائري لدى سدة خيرية الرغبات  
ولا بت إلا كابن مريم مشفقا على حدى ستغفرا لعدائى  
ولا حلت نفس هوى لبلادها كنفسى في فعلى وفي نفاثى  
وإنى ولا من عليك بطاعة أجل وأغلى في الفروض زكائى  
أبالتم فيها وهى عدل ورحمة وبتركها النساك في الخلوات  
هذه الأبيات وليدة هربه من الذهاب إلى الحجاز . وفيها يبرر عزوفه عن أداء فريضة الحج بمبررات واهية ضعيفة لا تستقيم مع أحكام الدين الحنيف ولا تنهض حجة أمام رجل حريص على أركان الإسلام ، محترم لشئائه التي منها الحج . فلا طيبة النفس ولا حب الوطن ، ولا الإشفاق على حساده ولا الزكاة ولا أى شيء مما ذكره يفتى عن الحج ويقوم مقامه . فشوقي في هذه الأبيات يستوحى العقل ويحتكم إليه ضاربا بأحكام الشريعة الفراء مرض الحائط .

والشيء الذى لامراء فيه أن شوقيا كان مهملا لفرائض الدين